العصبية المذهبية: وإشكالية الطائفية.

ينزل الدين خالصاً من عند الله ويهدف إلى تطهير المجتمع من كثير من الأفكار والمفاهيم والسلوكيات والأنماط التي تتنافى وقيم الرحمة والعدالة والخير... وبعد اللتي واللتيا ينجح بشكل ما في إزالتها او كبتها، كلها أو شيء منها؛ لكن الذي يحصل ولو بعد حين، ان بعضاً من تلك المفاهيم أو الأنماط الثقافية ما تلبث أن تعود بعد أن خبت لبرهةٍ من الزمن، والسبب أنه لم يعمل على كنسها بالكامل من النفوس، أمكن للدين أن يحاصرها، ان يكبتها، – كثقافةٍ اجتماعيةٍ عامةٍ – لكنها بقيت كامنةً في النفوس أو بعضٍ منها، وعندما تجد ظرفاً مناسباً لها تعود، لكن هذه المرة بلباس الدين ولغته، لأن الثقافة العامة التي تخيم على المجتمع – هذه المرة – هي ثقافةٌ دينيةٌ، واللغة المستخدمة دينيةٌ، كما الأدوات المفاهيمية المتداولة.

1– العصبية رؤية إسلامية:

لم تكن مواجهة الإسلام مع الجاهلية مواجهة لتستثني في جانبها الثقافي والفكري، جملة من المفاهيم التي تنتمي إلى منظومة الثقافة الجاهلية، حيث عمل الإسلام على نقد تلك المفاهيم، من أجل اعادة انتاج بديل لها ينسجم مع رؤيته الكونية، ومن تلك المفاهيم مفهوم العصبية.

عرض القرآن الكريم نموذجاً لعصبية ساهمت في رسم مسار الخليقة وموطن البشرية، ألا وهي عصبية إبليس، حيث يشير الإمام علي (ع) في نهج البلاغة إلى هذه القضية فيقول: «فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو اللَّه إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية...»[1].

ثم يقدم بياناً للعصبية يبرز فيه منشأها فيقول:

«ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجة تليط بعقول السفهاء، غيركم؛ فإنكم تتعصبون لأمر، ما يعرف له سبب ولا علة، أما إبليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال أنا ناري وأنت طيني، وأما

1– الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، انتشارات هجرت، قم، 1387 هـ ق، ص286.

الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين»[1].

ولذا ورد عن رسول اللّه (ص): «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه اللّه يوم القيامة مع اعراب الجاهلية»[2].

إذن العصبية قيمة خلقية سلبية تنتمي إلى منظومة القيم الجاهلية، ولقد حاول الإسلام جاهداً كنسها أو إفراغها من مضمونها، الذي ينتمي إلى أي مظهر من مظاهر الدنيا وعالم المادة (عرق، جنس، لون، منطقة، طبقة...) ومحاولة ملئها بمضمون آخر، يحيلها إلى مفهوم آخر، بغض النظر عن التسمية والتعبير.

ولذا يقول الإمام علي (ع): «فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء النجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة»[3].

ولقد رأى الإسلام أن العصبية تعبير عن حالة الفخر والكبر والحمية والاستعلاء كمرض نفسي، والتي ما إن تأخذ بعداً اجتماعياً حتى تتمظهر في عصبية عرقية أو مناطقية أو طبقية وما سوى ذلك، لتشير إلى حالة غير سوية تكمن في البعد النفسي – الاجتماعي، الذي تمظهرت فيه هذه العصبية أو تلك.

من هنا فإن العصبية تعبر عن أوضاع غير سوية في القيم الأخلاقية السائدة، وفي المحتوى النفسي لهذه البنية الاجتماعية أو تلك، وعن أكثر من خلل خلقي منها؛ وهو ما يؤدي إلى ولادة العصبية التي تسعى إلى التعبير عن نفسها بمفاهيم مصطنعة، لا تملك بعداً واقعياً أو حقياً (نسبة إلى الحق) يبرر نشوءها ووجودها.

1- م ن، ص 295.

2- الكليني، الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، 1365 هـ ش، ج 2، ص 308.

3- الإمام علي (ع)، م س، ص 295.

هنا قد يكون مناسباً تقديم مقاربة فلسفية لمفهوم العصبية، باعتبار أنه يبتنى على أساس غير واقعي (بالمعنى الفلسفي)، ليس على مستوى الظواهر التي تنتمي إلى مقولات المادة (جنس، لون...)، وإنما على مستوى صدقية التلازم بين هذه الظواهر المادية، وبين النتائج المعرفية التي يراد لها أن تؤسس لثقافة العصبية، فمن قال إن اللون كظاهرة مادية يبرر ايجاد ثقافة عصبوية ترتكز عليه، ومن قال إن العرق يبرر ايجاد عقيدة عصبوية تنتمي إليه؟ وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل المواد العصبوية التي تتخذ كذرائع للقيام بتأسيس عقدي – ثقافي لوباء العصبية ودائها.

نعم، الأمر كما أسلفنا، يتجاوز في عمقه هذه الظواهر المادية لتمتد جذوره إلى طبيعة النفس البشرية، التي قد تطغى فتميل إلى الكبر والفخر والاستعلاء، والذي ما أن يأخذ بعداً اجتماعياً، حتى يحتاج إلى أن يتمسك بجملة من المواد العصبوية والظواهر المادية، ليتخذها أساساً لبناء ثقافته العصبوية، والتي قد تقوم على أساس من القبيلة أو العائلة أو المنطقة أو القوم وغير ذلك.

ولذلك إن كان هناك من يفرق بين عصبية مذمومة وأخرى ممدوحة في الإسلام كالتعصب للحق، فهو في واقع الأمر إشارة إلى مضمون يخالف حقيقة العصبية وجذورها، كما يقول الإمام علي (ع): «فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر...»[1] فالتمسك بهذه الفضائل والمكارم والقيم يؤدي إلى انتاج ثقافة لا عصبوية بالمعنى المصطلح.

وعليه يمكن القول إن الرؤية الإسلامية تستثني التعصب للحق، ليس فقط بالمعنى القيمي، بل أيضاً بالمعنى الفلسفي والمعرفي، حيث إن المراد بالحق هنا كل واقعية تبرر مفهومي الولاء والانتماء، أي تقدم تسويغاً معرفياً للربط بين حقيقة ما، وبين الشعور بالانتماء إلى تلك الحقيقة والتثبت بها.

ومن هنا يصح القول إن مفهوم العصبية الذي ينبذه الإسلام، هو المفهوم الذي يرتكز على أية ظاهرة مادية أو تاريخية تتعدى اطار الحق بالمعنى المعرفي، في حين أن مفهوم العصبية الذي يدعو إليه الإسلام هو مفهوم يرتكز على أساس معرفي، أي على فكرة الحق – الحقيقة، وهي فكرة تحمل بنفسها نتيجة الشعور بالانتماء لها والولاء لمعانيها، لأن هكذا منظومة فكرية تقوم على أساس

1- م ن.

الحقانية (الحق)، سوف تستولد بشكل منطقي شعوراً بالانتماء والولاء لكل ما يكون أكثر حقانية، وأشد في الحق (بالمعنى الوجودي)، أي للّه تعالى، ولكل المفاهيم والقيم التي تحمل تبريرها المعرفي في تلك المنظومة. وفي هذا يقول الإمام علي (ع): «فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور»[1].

لكن إذا تجاوزنا هذا البعد الفلسفي في مقاربة مفهوم العصبية إلى البعد الاجتماعي، يصح القول هنا إن الدين الذي حارب العصبية، واعتبرها تنتمي إلى ثقافة الجاهلية قد يتحول بنفسه – أن أسيء فهمه – إلى منتج لعصبيات تقوم على الأساس نفسه، وإن كانت من نوع آخر، طائفية ومذهبية ولربما سياسية وحزبية... بل قد يولد حدّة في العصبية لا نجدها في مكان آخر، باعتبار أن مفهومي الانتماء والولاء هنا قد أخذا بعداً قداسوياً تفتقده بقية العصبيات الاجتماعية وغير الاجتماعية.

2– العصبية والجاهلية: تلبس الدين ومفارقته:

هذا هو بالضبط حال العصبية المذهبية في عالمنا الإسلامي اليوم، فالإسلام إنتماءٌ خالصٌ لله تعالى قبل أي شيءٍ آخر، ولذا كان من أهم أهدافه كنس العصبية الجاهلية بما هي سُنّة ابليس وفعله، وبما هي تعالٍ موهومٌ، وبما هي دعوة تفاصلٍ، وبما هي انتماءٌ الى جاهلياتٍ مصطنعةٍ تُعلي من شأنها، وتقدمها على أي اعتبارٍ دينيٍّ وإلهيٍّ.

الجاهلية اليوم – كما بالأمس– تلتف على الدين والاسلام، هي لم تنعدم، وانما بقيت كامنةً في النفوس، تنتظر لحظتها، وتريد أن تختار لباسها الذي يمنحها مقبوليةً ما في البيئة التي تريد أن تُسوَّق نفسها فيها، بل ومشروعيتها أيضاً.

هي اختارت اليوم لباس المذهبية، لأنه ينطق باسم الدين ويتحدث لغة محمد(ص)، اللغة التي يألفها ويتأثر بها كثيرٌ من الناس. لكنها عصبيةٌ، بل هي عصبيةٌ جاهليةٌ، إنها دعوة الجاهلية بأبشع صورها وأسوأ معانيها، لأن العصبية هذه المرة تستفيد من طاقة الدين وقدرته على التأثير والتحريض، الدين الذي إن أُحسِنَ فهمه وتطبيقه فهو طاقةٌ خيّرةٌ وبنّاءةٌ، أيّما خير وبناء، واذا أسيء فهمه وتطبيقه فهو طاقةٌ مدمرةٌ وهدامةٌ، أيّما تدمير وتهديم، والشاهد في يومنا ليس بقليل.

1– م ن.

إن أدنى مقارنةٍ اليوم بين الخطاب المذهبي ذي المضمون الجاهلي وبين ما جاء في كتاب الله تعالى، تُظهر بوضوحٍ إلى أي مجالٍ ينتمي هذا الخطاب، الذي يُقدَّم اليوم باسم الدين والإسلام، وهذا بعضٌ منها:

- القرآن الكريم ينهى عن التنازع، والخطاب المذهبي يدعو إليه.
- القرآن الكريم يتحدّث في الأمة الواحدة، والخطاب المذهبي الأمم لديه بعدد المذاهب.
- يدعو القرآن الكريم إلى عدم التفرقة والخطاب المذهبي يدعو إليها.
- يجعل القرآن الكريم الإصلاح (السلام) أصلاً في العلاقة بين طوائف المؤمنين، والخطاب المذهبي يجعل الحرابة والصراع أصلاً.
- يدعو القرآن الكريم إلى عدم الاستكبار، والخطاب المذهبي خطابٌ متعالٍ.
- يدعو القرآن الكريم إلى نبذ العصبية، والخطاب المذهبي خطابٌ عنصريٌّ.
- يدعو القرآن الكريم إلى المشتركات (كلمة سواء)، والخطاب المذهبي يُلغي كل مُشترَكٍ.
- المفاهيم القرآنية مفاهيم بناءةٌ (الخير..)، والمفاهيم المذهبية ذات بعدٍ هدّام.
- يدعو القرآن الكريم إلى الرحمة في العلاقات الداخلية وغيرها، والخطاب المذهبي يبني علاقته على الشدة والعنف..
- يدعو القرآن الكريم إلى التفاعل الحضاري والإنساني والاجتماعي...(لتعارفوا)، والخطاب المذهبي الممارَسُ، خطابٌ انطوائيٌّ، انغلاقيٌّ، غير تواصليٍّ، وغير قادرٍ على التأسيس لأي تفاعلٍ حضاريٍّ أو تقدمٍ علميٍّ أو تطورٍ اجتماعيٍّ وما شابه.
- حتى على مستوى الشكل والعناوين، للقرآن الكريم تسمياته "هو سمَّاكم المسلمين"[1] وللخطاب المذهبي تسمياته المختلفة...

إلى غير ذلك من المفارقات.

إن الاستنتاج البسيط الذي يمكن التوصل إليه، هو أن الخطاب المذهبي المُمارس اليوم، هو خطابٌ ذو مضمونٍ جاهليٍّ وسماتٍ جاهليةٍ واضحةٍ، يتوسل اللغة الدينية، ليروِّج لنفسه، ويستقطب بسطاء الناس، ويضلل الكثيرين. ولكن أدنى مقارنةٍ بين مفاهيمه ومفرداته من جهة، وبين ما جاء في القرآن الكريم وسنة الرسول(ص) من جهة أخرى، يُبيِّن حجم المفارقات الكبير بينهما، ويُظهر أنها محاولة تلطٍّ باسم الإسلام، وأنها محاولةٌ جاهليةٌ للتسلل إلى المجتمعات الإسلامية باسم الدين –

1- سورة الحج، الآية 78.

ولنعترف أنها نجحت إلى حدٍّ ما في تضليل العديد من البسطاء وغيرهم والتغرير بهم – وهو ما يتطلب:

1- إعادة تظهير الدين والإسلام خالصاً من القيم والمفاهيم الجاهلية.
2- تجريد الخطاب المذهبي من أية مشروعيةٍ دينيةٍ أو إسلاميةٍ مدَّعاة.
3- إجراء مقارناتٍ بين مفردات الخطاب المذهبي، وبين المصادر الإسلامية الأساسية (قرآن، سنة).
4- إظهار حجم التناقض بين الإسلام والخطاب المذهبي.
5- تبيان المخاطر والأضرار التي سببها هذا الفكر والخطاب في التاريخ والحاضر.

وقبل أي شيءٍ، المطلوب وضع استراتيجيةٍ عامةٍ وشاملةٍ، يتعاون فيها جميع المخلصين والواعين من الملتزمين بالقيم الدينية والإنسانية، حتى لا تعطى مواجهة هذا الخطر الداهم بالمجتمعات الإنسانية عامةً والإسلامية بشكلٍ خاصٍّ، بعداً مذهبياً أو طائفياً، يؤدي إلى مذهبتها وإفشالها.

إن المشروع الهادف الى إحياء العصبيات الجاهلية، وإرجاعنا إلى عصور الظلام والتخلف هو مشروعٌ يستهدف المجتمع الإنساني بجميع أطيافه، والمجتمعات الإسلامية بوجهٍ خاصٍّ، ولذا ينبغي أن يكون العلاج علاجاً شاملاً يتكاتف فيه الجميع، لأن نار العصبية إذا فشت أحرقت، فهي لا دين لها، ولا عقل، ولا قيم، فالعقل المذهبي ذو البعد الجاهلي، لم يفهم الدين بشكلٍ صحيحٍ فيحسن تطبيقه، ولا يعي الواقع فيحسن التعامل معه.

كما ينبغي الالتفات إلى مخاطر توظيف هذه العصبية في أي خلافٍ سياسيٍّ أو غيره، لأنه يفسد أكثر مما يصلح، ويحرق أكثر مما يورق، حتى لا نكون كالساعي على الجار بالنار، لا جار أبقت، ولا ديّار حمت..

3- إشكالية الدين والتدين:

هل تكمن المشكلة هنا في الدين أم في المتدين، وهل هي في الحقيقة الدينية أم في فهم تلك الحقيقة؟ لأنه ليس أمراً مقبولاً ومستساغاً أن ينقلب الشيء إلى ضده، وأن يقود إلى خلاف هدفه عندما يتموضع في الاطار الاجتماعي.

ما ينبغي قوله إن المشكلة هي فهم البعض للدين وحقيقته، وأيضاً في سوء تطبيقه للقيم والمفاهيم الدينية. لأن الدين قبل أي شيء آخر هو انتماء معرفي – عقدي، وهو علاقة باللَّه تعالى، وكل القضايا الدينية الأخرى يجب أن تفهم من خلال ذلك الأساس، لكن ما يحصل أن البعض بدل أن يفهم الدين فهماً صحيحاً يؤدي إلى كنس كل تلك العصبيات المصطنعة، والتخفيف من حدتها، فإنه يحاول أن يسقط عصبياته على الدين نفسه، لتأخذ تلك العصبيات تبريراً دينياً وبعداً قداسوياً فتصبح والحال هذه أشد خطورة وأكثر فتكاً.

بل إن البعض يتعامل مع أي تمايز ديني أو اختلاف طائفي أو مذهبي من موقع عصبوي مرضي، وليس من موقع معرفي حقاني، فلا يعود الاختلاف أو التمايز وسيلة لاستجلاء الحق ومعرفة الصواب، بل تراه ينتصر لطائفته، أو مذهبه كما ينتصر أي جاهلي لقبيلته، وتراه ينافح عن طائفته ومذهبه كما ينافح أي جاهلي عن عشيرته، هنا يصبح واقع الاجتماع الديني مرادفاً لما عليه الاجتماع الجاهلي، ويصبح المذهب الفلاني مرادفاً للعشيرة الفلانية، أو لبني فلان أو فلان، وتؤول الطائفة الفلانية إلى تلك القبيلة أو غيرها، أي إن ما هو موجود هو اجتماع جاهلي، لكن بتعابير وتسميات جديدة دينية أو غير دينية، في حين أن القيم واحدة، والمفاهيم واحدة والخلل في البنية النفسية – الاجتماعية هو ذاته، وما اختلف هو التمظهرات الجديدة نتيجة اختلاف طبيعة الانقسام الاجتماعي من انقسام جاهلي ذو وجه قبلي؛ إلى انقسام جاهلي ذو وجه ديني، فمحل القبيلة الفلانية تحل الطائفة الفلانية، ومحل العشيرة الفلانية تحل هذه الجماعة المذهبية أو تلك، وبالتالي اختلفت التسميات لكن الروح الجاهلية ما زالت كامنة، والأخلاق الجاهلية ما زالت فاعلة، وما زال الخلل في بنية الاجتماع النفسي يترك أثره في نسج علاقات وانتاج سلوكيات ومواقف تتنافى مع قيم الإسلام وأهدافه وإن كانت تطرح باسمه، وتنسجم مع قيم الجاهلية وثقافتها وإن كانت تدعي مخالفتها.

4- العصبية والطائفية:

في حمأة الجدل حول الطائفية بتجلياتها المتعددة، غالباً ما ينجر الحديث الى اشكالية الطائفية والدين، باعتبار ان البعض يذهب الى ان الطائفية في أبعادها الاجتماعية والسياسية قد ارتكزت على الدين، وانها تستمد منه شرعيتها واستمرارها. وعليه فهو يرمي كل افرازات الطائفية ونتائجها السيئة على الدين، ويحمله المسؤولية عن مجمل الأوضاع التي آلى اليها أكثر من اجتماع ديني أو عربي في مختلف ميادينه ومؤسساته.

ولعل مما يساعد على هذا الفهم، انجرار العديد من علماء الدين الى اكثر من اداء وسلوك وتعبير، يعزز مقولة التماهي بين الدين والطائفية، ليحمّل الدين اوزاراً ما كان له ان يحملها، لولا اولئك المنتسبين اليه، الناطقين باسمه.

لكن هل هذا التصور عن العلاقة بين الطائفية والدين هو تصور صحيح؟ هل يشرع الدين الطائفية، ويمدها بالقدرة على الاستمرار، ويمنحها القوة على التمدد الى مجمل مفاصل الاجتماع الديني ومؤسساته؟ ام ان الدين برآء من الطائفية، وانها تنسب اليه زوراً وبهتاناً ، وانها البست لبوساً لم يفصل لها؛ انما فعل الفاعلين لتوظيف الدين لمآرب شتى.

ان هذا السؤال يقود الى ضرورة تحليل ماهية كل من الدين والطائفية، لنرى ان كان الدين يحتضن الطائفية ام ينبذها، يقبل بها ام يرفضها؟

ولنبدأ من الطائفية، لنقول انها نوع من العصبويات التي تستجمع جماعة من الناس، لكن هذا المرة تحت عنوان ديني، بمعزل عن مستوى العلاقة التي تربط افراد هذه الجماعة بذاك الدين، ومدى معرفتهم به، وتماهيهم معه، اذ يكفي الإنتماء الاجتماعي فقط، حتى يعد واحداً من افراد تلك الجماعة، حيث يغلب القالب على المعنى، والشكل على المضمون، فلا يبقى من الدين الا اسمه، ومن كتابه الا رسمه، في علقة تحمل في احشائها روح القبلية وقيمها، لكن هذه المرة باسماء وعناوين استعيرت من الدين.

اما الدين فهو اعتقاد يقوم على فعل الايمان، الذي يحكى عنه العمل ويصدّقه، هو بالاساس ارتباط بالله تعالى، يقوم على المعرفة به والخضوع له، ويسعى الى الغيب والمجرد، في فعل ايماني، ينحو الى التسامي والتعالي على حدود المادة وقوالبها المصطنعة، وحواجزها المبتكرة، ليصبح المعيار امراً جوانياً ، تفصح عنه صدقية الفعل "ان اكرمكم عند الله اتقاكم"[1]؛ وان كان من تمايز اجتماعي ما، فيصبح هذا التمايز تواصلياً تعارفياً ، لا تبنى عليه عصبة ولا يصلح كمعيار "جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم"[2].

1- سورة الحجرات، الآية 13.

2- م ن.

ولذلك الدين في جوهره يتنافى والعصبية، ولا تتحملها معانيه. فالدين ينحو الى التسامي، والعصبية تقود الى التداني؛ الدين ينسج معيارية من التقوى والخير عابرة للحدود العرقية والقبلية والفئوية.. والعصبية تقوم على معيارية فاصلة بين الجماعات البشرية، ولذلك الدين يسمح بل يدعو الجميع الى الاستجابة لمعياريته، في حين ان العصبية لا تسمح لمن هم خارج العصبة بالانضواء تحت جناحها؛ الدين في حقيقته تواصل، اما العصبية ففي حدودها تفاصل؛ الدين في اهدافه تعارف، والعصبية في حواجزها تناكر؛ الدين في معانيه دعوة الى تقديم قيم الخير والتعاون والاصلاح، والعصبية تغلب في عصبيتها ومفرداتها جميع تلك القيم والمعاني.

ان ما هو حاصل في أكثر من اجتماع ديني، ليس عصبية دينية، وليس طائفية دينية، بل هو عصبية البست لباس الدين، بعد ان جرد من معناه وأفرغ من مضمونه، فكانت النتيجة عصبية أشد، بمضمون اقبح، وأداء أسواء، سواءً في الادارة او السياسة وسوى ذلك.

فالدين لا يقدم من هو أبعد عن الخير والتقوى على من هو اقرب اليهما، حتى لو كان من طائفة مماثلة، في حين ان الطائفية تفعل؛ الدين لا يقدم من هو ابعد عن الكفاءة والنزاهة ونفع بني الانسان على من هو اقرب، والطائفية تفعل؛ الدين لا يقدم من هو ابعد عن الصلاح والاصلاح على من هو اقرب اليهما، والطائفية تفعل؛ لا يمكن للدين ان لا يكون اصلاحياً او يحتضن الفساد والمفسدين، والطائفية تفعل.

الطائفية لا تبصر الا العصبة التي اقامت عليها سلطانها وبنت بنيانها، في حين انها تتعامى عن ما سواها، من قيم حقة، وصفات حسنة، من كرائم أخلاق ومدائح افعال. كل ذلك لا تراه في الآخر الذي لا ينتمي الى عصبتها، ولا تبني عليه موقفها، فيكون لديها شرار قومها افضل من خيار قوم آخرين، وفاسدي قومها افضل من صالحي قوم آخرين. لأنها لا تبصر في الآخر خيره او صلاحه، بل لا ترى فيه الا عصبتها؛ حيث تتهاوى القيم الحقة، والمعايير الانسانية، والموازين الاخلاقية، فتتحول العصبة الى صنم، يضاهي أصنام الجاهلية الجهلاء، لأن الله تعالى يأمر بالعدل والاحسان وان يكون المعيار لدينا الخير والتقوى، في حين ان العصبية تأمر بخلافه وأشياء أخرى.

5- الخاتمة:

ان مناهضة العصبية المذهبية والطائفية هي واجب وطني، وهي أيضاً واجب ديني وانساني، وذلك للمخاطر التي تتركها على المجتمع والإنسان وكثيراً ما استخدم الدين زوراً لتكريس الطائفية،

وقد آن الاوان لفعل العكس، اي ليقوم الدين بكنس الطائفية وتحطيم اصنامها، وتجريدها من لباسها المدعى بهتاناً .

ونخلص مما تقدم الى ما يلي:

1. ان العصبية أمر مذموم دينياً ، وكلما اقترب المرء من الدين كلما ابتعد عن العصبية، وكلما اقترب من العصبية كلما ابتعد عن الدين.
2. إن الخطاب المذهبي اليوم – كما الأمس – هو خطاب يحمل في أحشائه قيم الجاهلية، ويعمل على تظهيرها باسم الدين ولغته.
3. إن أدنى مقارنة بين الخطاب المذهبي الممارس وبين القرآن الكريم، تظهر بوضوح إلى أي مدى معرفي ينتمي ذلك الخطاب ومضمونه.
4. إن الغوص في فلسفة العصبية والعمل على تشريحها يؤدي إلى تلكم النتيجة، أنها تخالف في مضمونها جوهر الدين والأسس التي يقوم عليها.
5. ان لظاهرة المذهبية والطائفية أسبابها، ومن أسبابها الابتعاد من المعاني الحقة للدين، وعدم الاستفادة من قيمه الاخلاقية والروحية الجامعة، والعابرة للطوائف والمذاهب.
6. ليس من الصحيح رمي أوزار المذهبية والطائفية على الدين، لأن الدين اذا كان ينافي العصبية فهو ينافي تمظهرها في الطائفية القائمة والمذهبية الممارسة.
7. ليس من الصحيح استخدام الدين لتبرير العصبويات المذهبية والطائفية او شرعنتها، لأن في ذلك تحريفاً للدين، واقصاءً له عن معانيه النبيلة وأهدافه السامية.
8. إن بعض العالمين بالدين، عندما ينزلقون الى ممارسة التعصب المذهبي والطائفي، فهم يغادرون الدين ومعانيه، وعندما يهتفون بالطائفية والمذهبية، هم ينطقون باسم عصبياتهم، لا باسم الدين ومراميه.
9. في تمييزنا بين الخطاب الطائفي أو المذهبي وبين الخطاب الديني، يجب ان نتجاوز التسميات ومظاهر اللباس، فلربما متجلبب بلباس الدين متفوه بالطائفية، وربّ متجلبب بلباس غير ديني، أقرب في خطابه الى الدين ومعانيه.
10. في مقام مناهضة المذهبية أو الطائفية وافرازاتها؛ ينبغي عدم الخلط بين كل من الدين أو الطائفية والمذهبية، حتى لا نوجه سهام النقد والمسؤولية الى الدين، فنضل غايتنا، ونخطىء مكامن العلة فينا.

وأخيراً لا بد من القول ان الطائفية في مضمونها العصبوي وتجلياتها الاجتماعية والسياسية والادارية وغيرها قد فتكت فينا، وافسدت علينا حياتنا، واصابت أكثر من اجتماع ديني في مقتل، وافرزت الكثير الكثير من السلبيات على اكثر من مستوى؛ وأن يعمل على تهذيبها خير من ان تبقى على فرعنتها تنتج أزماتنا وتفسد حاضرنا ومستقبلنا.

وكذلك الخطاب المذهبي ذي المضمون الجاهلي فإنه إن لم يُستأصل وثقافته عن بيئتنا واجتماعنا الإسلامي، فإنه سوف يعيدنا أسوأ مما كان عليه أعراب الجاهلية وبدوهم، بل قد فعل، غير أنّا قصدنا أن نبين زيف دعواه أنه ينتمي إلى الدين ويحمل شرعيته، حتى يبين للقاصي والداني جاهلية هذا الخطاب وافصامه عن الدين والإسلام، وحجم المخاطر التي يهدد بها ليتحمل كل مسؤوليته، ويكون على بينة من نفسه ودينه.